

المجلة

مجلة البحوث العلمية والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشرف
أحمد الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ - عابدين - القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٢٠ في سائر الممالك الأخرى

عن العدد ١٥ ملياً

الاعصونات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٥٤٦ «القاهرة في يوم الإثنين ٢٢ ذو الحجة سنة ١٣٦٢ - الموافق ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

عيد اللغة العربية

للدكتور زكي مبارك

اخترت هذا الموضوع لأنني إلى حقائق أدبية ولغوية واجتماعية أرى في التنبيه إليها فائدة تنفع الأمم العربية أجزل النفع ، لأنها تريد في تقويتها بوجودها الأدبي ، ولأنها تثير الطريق أمام المهتمين بالوحدة العربية ، وهي فكرة يمكن تحقيقها بسهولة ، إن تعاونوا على رفع ما يعترضها من العقبات والأشواك

ولأجل أن يتضح موضوع هذا الحديث أرجو أن تذكروا ما كنا عليه قبل أعوام قصار لا طوال ، فقد كان في كل قطر عربي جماعة يدعون إلى إثارة اللهجة العامية المحلية في الخطابة والكتابة والتأليف ، ومع أن هذه الدعوة واهية الأساس فقد كانت تجد سبباً إلى بعض الأسماع والأذهان ، وكان المقلاء يحشون أن تتخذ بها الجماهير هنا أو هناك

والدعوة إلى اللهجة المحلية دعوة سهلة القبول ، لأنها تبشر سامعيها بالإعفاء من تكاليف الفصاحة العربية ، وهي تكاليف لا يقوى على حملها غير الأقوياء من أهل البيان

كانت هذه الدعوة تجد من يسمع وتجد من يجيب ، ثم خفت

الفهرس

صفحة	
١٠٠١	عيد اللغة العربية ... : الدكتور زكي مبارك ...
١٠٠٤	توفيق الحكيم بين الأدب { الأستاذ دريني خشبة ... والقرن ...
١٠٠٨	حسن حسني الطويراني .. : الأستاذ محمد عبد النبي حسن
١٠١١	اضطراب التعليم في الأزهر { الأستاذ عبد المتعال الصمدي بين القديم والحديث ...
١٠١٣	موت الأدب I ... : الأستاذ عبد الوهاب الأمين
١٠١٤	جامع أحمد بن طولون ... : الأستاذ أحمد رمزي بك ..
١٠١٦	كل شيء قد خبا [قصيدة] : الدكتور إبراهيم ناجي ...
١٠١٦	تحية ضائعة ... : الأستاذ صالح جودت ..
١٠١٧	أغنية الرياح الأربع ... : ...
١٠١٨	عبد المسيح وزير .. : الدكتور زكي مبارك ..
١٠١٨	حول بيت لحلم الدين { الأستاذ محمود عزت مرفة ... الحوي ...
١٠١٩	خنان الأثني في الاسلام : الأستاذ دسوقي إبراهيم ...
١٠٢٠	تأنيخ الأخلاق ... : الدكتور أحمد نؤاذ الأهواني

صوتها بعد أن جلجل وصلصل عدداً من السنين ، فما الذى أسكت ذلك الصوت ؟

يرجع السبب إلى النهضة الأدبية الحديثة التى ظهرت طلائعها فى الديار المصرية والسورية واللبنانية والعراقية ، ولم يكن لهذه النهضة غنى عن لغة قوية تستطيع التعبير عن الدقائق والجلالات من المعاني والأعراض

عند ذلك انهزمت اللغة العامية ، لأنها لغة العوام ، والعوام لا يحتاجون إلى لغة غنية ، لأن مطالبهم فى التعبير لا تزيد عما يحتاج إليه الحياة اليومية فى المنازل والأسواق

وعما يشير الضحك أن الذين دعوا إلى اللغة العامية لم يشرحوا قضيتهم إلا باللغة الفصيحة ، وهذا شاهد ناطق بأن العامية أضيق وأبجز وأقفر من أن تمين أنصارها على التعبير عن أغراضهم بألمعاب وإطناب

اقترحت مرة أن يصدر قرار وزارى يجعل اللغة العامية لغة المصريين ، لرجع جميعاً إلى اللغة الفصيحة بعد أسبوع أو أسابيع ولكن كيف ؟

كذت أنتظر أن يفكر كل كاتب وكل شاعر وكل خطيب فى تجميل لغته العامية ، ليتفوق على النظراء ، ولتمتاز بالأناقة فى البيان ، ولا يتم له ذلك إلا إذا استعان بذخائر اللغة الفصيحة ، وقد تحمله الرغبة فى التفوق على أن يمود طائماً مختاراً إلى اللغة التى مجدتها الأم العربية فى عشرات الأجيال ، وبذلك ينهزم دعاة العامية إلى آخر الزمان

وما الذى منع دعاة العامية من أن يجعلوها لغتهم فى الشعر والكتابة والخطابة والتأليف ؟

هل صدر قرار يحرم عليهم أن يكونوا عاميين ؟

هل حاربهم الحكومة ؟ هل حاربهم الأمة ؟

لا هذا ولا ذاك ، وإنما أوحى إليهم عقولهم وأذواقهم أن يسموا بأنفسهم عن الابتذال ، واللغة العامية كالثوب الذى نلبسه فى البيت ، ونحن نعرف أننا لا نتأق فى اللبس بين جدران البيوت

إن اللغة سلاح من الأسلحة ، وهى فى يد الخطيب كالسيف فى يد المحارب ، ولا يجوز للماقل أن يدخل الميدان وفى يده سيف مفلول

نحن لم نهزم دعاة اللغة العامية بالقوة ، وإنما انهزموا بأنفسهم لأنهم خاضوا غمار المعركة بغير قلب ، ولا عزم لمحارب لا يؤازره القلب .

وهل انهزم دعاة اللغة العامية حين حرصوا على التسليح باللغة الفصيحة ؟

إن مكرمهم أغرب من مكر الشياطين ، فقد رأوا أن يسبقونا الإفصاح ، وأن يحاولوا نزع راية الفصاحة من أيدينا ليتفردوا بغنيمة المجد الأدبى ، فلنكن أول جيش يسلّم وهو فرح جذلان لقد أراد خصومنا أن يرفعوا أنفسهم فيكونوا خلفاء لكبار الفصحى ، لا خلفاء لعوام المتحدثين فى الشوارع والقهوات والبيوت

أقول هذا وأنا أعترف بلغة الشارع والقهوة والبيت ، لأنها أما كن يجوز فيها التحلل من التأق ، والتأق حليلة بيانية لا تفكر فيها إلا حين تقف موقف المحاربين بلسان البيان

اللغة العامية هى ثوب البيت عند رفع التكليف ، ومن هنا جاز أن تكون لكل أمة لغتان : لغة عامية ولغة فصيحة . وهذه قضية لا تحتاج إلى براهين ولا محامين

وإن خصومنا فى هذه القضية ؟ أين ؟ أين ؟

للتواضع منهم أغراض أدبية واجتماعية ، فهم يحاولون أن يصلوا إلى أسماع العرب فى المشرق والغرب ، وهذا لا يتيسر بغير الأسلوب الفصيح ، لأن الأسلوب العامي يمجز عن تخطى الحدود

لم يبق إلا الجهلة من دعاة اللغة العامية ، وهم أطفال يهيمهم أن يتحدثوا بعص الحديث عن فكرة فتت على شواطئ الجهل ، كما تثبت البقلة الحقاء على مدارج القدران

نحن فى هذه القضية بين صورتين اثنتين : صورة المواطن وصورة المنافع ، فما موقف خصومنا من هاتين الصورتين ؟

إن فرضنا أنهم لا يبالون ما صنع آباؤهم وأجدادهم في إعزاز اللغة الفصيحة إعزازاً حاشاها من الاندثار في عصور كانت كلها ظلمات في ظلمات ، فكيف تفرض أنهم لا يبالون منافهم وهي من الصميم في وجودهم الحيوى ؟

أستطيعون الاستغناء عن الشرق ؟

هذا ممكن ، إن أرادوا العيش في ظل الخمول ، ولكنه مستحيل إن أرادوا الاتصال بالشرق ، في الحدود التي توجبها أواصر الأدب ومنافع الاقتصاد

لو انتصرت دعوة خصومنا — ولن تقتصر — لكان من الحتم أن يحتاج المصري إلى مترجم حين يزور فلسطين أو الشام أو لبنان ، وقد يحتاج إلى مترجم حين يزور العراق ، لأن الدعوة إلى العامية قد تحيى في العراق عدداً من اللغات

وأذهب إلى أبعد من ذلك فأقرر أن المصيبة المحلية قد تمحوج القاهرةيين إلى مترجمين حين يزورون بلاد الصعيد ، بنض النظر عن بلاد النوبة والسودان ودارفور وكردفان !

يجب حتماً أن نترك هذا السخف المقوت ، سخف الدعوة إلى اللغة العامية ، لأنه من شواهد الانحطاط ، ونحن في طريق الاستعلاء

ويجب أيضاً أن نفتدى بما تصنع الأمم القوية ، وهي تفكر في توحيد اللغة قبل أن تفكر في توحيد الأقاليم ، لأن وحدة اللغة هي حجر الأساس في بناء القومية

يجب أن تكون للعرب والمسلمين لغة واحدة في المشرق والمغرب ، لغة يتلاقون عندها كما يتلاقون في جبل عرفات ، وكما يتلاقون في توحيد الله عند الصلوات

فإن لم يفعلوا — وسيفعلون — فستضيع جهودهم في الدعوة إلى الوحدة العربية والوحدة الإسلامية ، وإن يضيعوا أبدأ ، لأنهم أعقل من أن يتعرضوا إلى مخاطر الضياع

لقد استقر الرأي في البيئات الفنية المصرية على أن من حق لغة المسرح والسينما أن تتحرر من القيود التي تثقل اللغة الفصيحة ما دام موضوع القصة المسرحية أو السينمائية موضوعاً خاصاً بالجمتمع المصري الحديث ، وتلطف الفنانون المصريون مع اللغة

الفصيحة فجعلوها لغة الروايات المنتزعة من حوادث التاريخ فما الذى وقع بعد ذلك ؟

رأينا أولئك الفنانين يقولون على اللغة الفصيحة في المواقف التي تحتاج إلى روعة البيان ، وهذا ما يصنع الفنان يوسف وهبي وما يصنع زملاؤه من المؤلفين المسرحيين والسينمائيين

وأنتم في غنى عنى بذلك على تلك المواقف ، فما خلت رواية مسرحية أو سينمائية من مشاهد لا يستطيع الممثل أن يؤدي فيها واجبه الفنى بغير الأسلوب الفصيح

كانت (الفرقة المصرية) تلتزم اللغة الفصيحة ، وقد نجحت كل النجاح ، ولكن ناساً قالوا إنها عجزت عن غزو الأوساط الشعبية ، واقترحوا أن تتحرر من قيود الإفصاح

وقد غير نظام تلك الفرقة إجابة لصراخ الصارخين من عوام الناس ، وألتي الأستاذ محمد بك صلاح الدين خطبة قرر فيها أن المسرح ليس مدرسة لتعليم اللغة الفصيحة ، وأنه لا بأس من أن يجرى الحوار باللغة التي يتكلم بها الناس فيما يتصل بموضوع المسرحية

ولكن الأقدار قضت بغير ما قضى به هذا الرجل الأريب ، فقد بدأت الفرقة موسمها في هذه السنة بمسرحية شعرية ، هي قصة قيس ولبلى ، وأقبلت الجماهير على شهود هذه القصة أكثر من عشرين ليلة ، مع أن المفهوم أن الشعر الفصيح أصعب من النثر الفصيح

فا تفسر هذه الظاهرة الأدبية ؟

تفسيرها سهل ، فالجمهور المصرى يؤمن بأن اللغة الفصيحة هي لغته الأصيلة في المواقف الجدية ، بدليل أنه لا يتصور صحة صلاة الجمعة إذا ألقى الخطيب خطبة الجمعة باللغة العامية

ومن أغرب ما يقع في هذا العصر أن يجهل بعض رجال الآداب والفنون روح الشعب المصرى ، فهم يتوهمون أنه شعب يستريح إلى المطالب الهينة ، ويتقل عليه الجد الصريح

وبسبب هذا الفهم المنحرف ضاعت جهود ذلك من الأدباء والفنانين

أتحدكم أن تقيموا مباراة في حديقة الأزبكية بين شخصين أحدهما خطيب فصيح ، والثانيهما مهرج ظريف